تصـــدير
من ذاكرتى

بقلم الدكتور محمد مهدى علام
المشرف على المجلة

سأصدر هذا العدد ، بالنقل « من ذاكرتى » ، بدلا مما سِرْت عليه منذ بضع سنوات ، بالنقل « من مكتبتى » وقد دعانى إلى ذلك ما قرأته فى الصحف فى اليومين الماضيين عن الفتنة التى أشعل نارها ، فى بعض مدن الصعيد ، من أضلهم الله عن تاريخ بلدهم ، وعن طبيعة دينهم ، مسلمين كانوا أو مسيحيين ، فكل من الإسلام والمسيحية دين السماحة والتسامح. ولست هنا بصدد تفصيل ذلك ، فهو — إلى أنه واضح لكل ذى عينين — قد تناوله الكتاب ، حتى اختصه السيد رئيس الجمهورية بعنايته .

إنما دعانى إلى الكتابة اليوم ، وقد كنت أعددت « تصديرى » كالعادة عن كتاب « من مكتبتى » أننى تذكرت حادثة تاريخية لها أقوى الدلالة ، على أن بلدنا ليس بلد الفتنة ، وعلى أن ديننا — وكذلك دين مواطنينا الأقباط — ليس دين تعصب .

فى يوم من أيام شهر أبريل سنة ١٩٢٨ كنت راكبا ترام العباسية ، وفى إحدى المحطات صعد راكب فى زى محترم وسن تبلغ الشيخوخة المبكرة فوقفت متنحيا له عن المكان الذى أجلس فيه ، فجلس شاكرا ، وفى المحطة التالية نزل راكب كان جالسا إلى جانب هذا السيد الذى أتحدث عنه ، فجلست فى المكان الذى خلا . وعندئذ أخذ السيد الوقور يحدثنى ، فسألنى عن عملى ، وأخبرته أننى مدرس بدار العلوم ، فإذا بالسيد المحترم يقول لى إنه متخرج من دار العلوم .

وهنا اتجهت إليه بنظرة احترام خاص لأن سنه كان يشعر بأنه أحد كبار المتخرجين من دار العلوم ، فى مثل دفعة سلطان بك محمد ، أو حفنى بك ناصف . أو محمد باشا صالح.

ولما سألته عن تاريخ تخرجه — وكنت يومئذ أكاد أحفظ عن ظهر قلب أسماء جميع الخريجين فى العشرين أو الثلاثين سنة الأولى لإنشاء المدرسة — أخبرنى فى عبارات رقيقة أنه مع تخرجه لم يحصل على شهادة لأنه قبطى ، وكان محبا للغة العربية ، فتقدم لإدارة المدرسة راغبا أن يسمح له بحضور محاضرات اللغة العربية ، فقبل على ألا يسجل للامتحانات أو

الحصول على الشهادة . وهكذا قضى أربع سنوات فى الدراسة ، ثم مارس التدريس و الشعر[1] حتى وصل إلى نظارة مدارس الأقباط الكبرى .

وعندئذ أسعفتنى ذاكرتى باسمه ، لأنه كان شاعرا عظيما فى أواخر القرن الماضى ، وأوائل القرن الحالى . فقلت له : سعادتك إذن وهبي بك .

قال : نعم . قلت له : أنا أحفظ كثيرا من شعرك .

وذكرت بعضه له . وأشرت إلى أثر الثقافة الإسلامية فى شعره ، مستشهدا بقصيدته التى رثى بها الفقيد بطرس غالى باشا ، وفيها يطالب بالقصاص فيقول :

فإذا اقتص فالقصاص حياة وهو نص لايقبل التأويلا

هكذا كانت علاقة أبناء الوطن الواحد ، لدرجة أن معهدا إسلاميا مثل دار العلوم ، يقبل بين طلابه مسيحيا يزاملهم أربع سنوات ، ويتخرج علميا (فلم يكن فى حاجة لتخرُّج رسمى) شاعرا من أبلغ شعراء عصره ، ولغويا فصيحا أشادت بذكره المجلات الأدبية المعاصرة التى عرفته منها حين وجدت أعدادها القديمة بين ما وجدت فى بيتنا فى عهد الصبا مثل مجلة رعمسيس ، وسركيس ، وأنيس الجليس ، وكان هناك عدة استفتاءات بين رجال الأدب لترتيب أعلى عشرة من الشعراء المعاصرين — وكانت هذه المجلات تنشر الردود التى تأتى من هيئات مختلفة ، من البلاد العربية . وأتذكر جيدا أن اسم وهبي بك كان دائما ضمن كل رد يأتى من أية جهة ، وأن ترتيبه بين كل عشرة كان فى أوائلها .

وأنا أتمنى الآن من يدلنى على مواطن شعره ، لأقدم عنه دراسة ، إن لم أكن قد سبقت إلى ذلك بسبب طول السنين التى قضيتها فى الخارج .

الدكتور مهدى علام
نائب رئيس المجمع

---

(١) ذكر خير الدين الزركلى (ج ٢ ص ٨٢)أن وهبي بك « حضر دروسا فى الفقه والعربية فى الأزهر » والذى أقرره هنا كان نقلا عنه شخصيا ، وأن محاولة دراسته فى الأزهر لم تنجح وأن هذا هو الذى حوله إلى دار العلوم . م . ع .